تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { ومنهم } أي ومن المنافقين { من يلمزك } أي يعيب عليك { في } قسم { الصدقات } إذا فرقتها ويتهمك في ذلك وهم المتهمون المأبونون وهم مع هذا لا ينكرون للدين وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ولهذا { فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون } أي يغضبون لأنفسهم قال ابن جريج : أخبرني داود بن أبي عاصم قال أتى النبي صلى ا عليه وسلّم بصدقة قسمها هاهنا وههنا حتى ذهبت قال ووراءه رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل فنزلت هذه الاية وقال قتادة في قوله : { ومنهم من يلمزك في الصدقات } يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى ا عليه وسلّم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد وا لئن كان ا أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبي ا صلى ا عليه وسلّم : [ويلك فمن ذا الذي يعدل عليك بعدي ؟] ثم قال نبي ا : [احذروا هذا وأشباهه فإن في أمتي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم] وذكر لنا أن نبي ا صلى ا عليه وسلّم كان يقول : [والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئا ولا أمنعكموه إنما أنا خازن] .

وهذا الذي ذكره قتادة يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة واسمه حرقوص لما اعترض على النبي صلى ا عليه وسلّم حين قسم غنائم حنين فقال له : اعدل فإنك لم تعدل فقال : [لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل] ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقد رآه مقفيا : [إنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم شر قتلى تحت أديم السماء] وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير لهم من ذلك فقال : { ولو أنهم رضوا ما آتاهم ا ورسوله وقالوا حسبنا ا سيؤتينا ا من فضله ورسوله إنا إلى ا راغبون } فتضمنت هذه الاية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه ا ورسوله والتوكل على ا وحده وهو قوله : { وقالوا حسبنا ا } وكذلك الرغبة إلى ا وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى ا عليه وسلّم وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره